مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 03 السنة 2022 ص 237 - 254

/تاريخ الإرسال: 2021/06/12 تاريخ القبول: 2021/09/23
تاريخ النشر: 06 /2022/10

الأوضاع اللغوية في المجتمع الجزائري، رؤية سوسيو-تاريخية
Language situations in algerian society. Socio-historical view.

[1]بوهناف عبد الكريم ، [2] جودي حمزة
جامعة أدرار (الجزائر) karim@univ-adrar.edu.dz
جامعة أدرار (الجزائر) hamza81rg@yahoo.com

الملخص:

تناولنا في هذا المقال الوضع اللغوي في المجتمع الجزائري، خلال الفترات التاريخية المختلفة والتي عرفت تنوع لغوي ، بسبب العديد من التوافدات الخارجية، بسبب الهجرات، أو الفتوحات، أو بسبب الاستعمار ...، وفي كل مرحلة يظهر وضع أو واقع لغوي جديد في المجتمع .

ثم تطرقنا بعد ذلك إلى الوضع اللغوي في الجزائر قبل الإسلام، وبعدها، ووضحنا الترابط الوظيفي بين الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر، وكذا الدور الذي لعبه الاستعمار الفرنسي في سياسة فرنسة المجتمع، وأخيرا تطرقنا إلى الواقع اللغوي الحالي في المجتمع الجزائري، والذي أبان عن تعدد لغوي تتفاعل فيه العديد من الممارسات اللغوية (العربية، الأمازيغية، الفرنسية)، وتتباين في تموقعها وانتشارها من مكان لأخر.

الكلمات المفتاحية: اللغة ؛ الأوضاع ؛ المجتمع ؛ سوسيو- تاريخية

Abstract:

The present topic covers the linguistic situation in the Algerian society during the different historical periods that knew a

linguistic diversity, because of many external arrivals, such as migrations, conquests, or colonialism; etc… during each period, a new linguistic situation or reality appears in society.
Then we talked over the linguistic situation in Algeria before Islam, we also clarified the functional link between the Islamic religion and the Arabic language in Algeria, likewise, the role that French colonialism played to Gallicise the society. Finally, we tackled the current linguistic reality in Algerian society which showed several languages (Arabic, Berber, French) in which many linguistic practices interact and varies in its location and spread from one place to another.
Keywords: language; situations; society; Socio- Historic

المؤلف المرسل: بوهناف عبد الكريم ، الإيميل: KARIM1550@YAHOO.COM

1.مقدمة:

إن التمثلات (مواقف أيديولوجية ، معتقدات ، ...) التي يحملها الأفراد عن لغة ما، تؤدي دورا أساسيًا في تطور الحالات اللغوية، لما تلعبه من تأثير على الوقائع ، وعلى مجمل الممارسات والأوضاع اللغوية ، وعليه فإن نجاح أي سياسة لغوية يستدعي أن تكون متوازية مع رؤى الناس ومتماشية مع تطلعاتهم المادية والرمزية ، وبما أن دول الشمال الإفريقي تعرضت خلال فترات التاريخ المختلفة إلى دخول الأجانب سواء استعمارا، أو هجرة ، أو تجارة... ، فلا شك أن لهذا أثر على واقعها ووضعها اللغوي، وهو ما يجعل الوضع اللغوي غير مستقر، والجزائر واحدة من هذه الدول(الشمال الأفريقي)، ويفضي إلى واقع لغوي ما ، تمارس فيه اللغة ، وترتسم فيه معالم التوجهات اللغوية واللسانية ، وعليه حاولنا في هذا المقال طرح إشكال مفاده،ما واقع الأوضاع اللغوية في المجتمع الجزائري؟ ، وحاولنا التطرق من خلاله

الى أهم المحطات التاريخية البارزة ، والتي كان لها الدور الفاعل في إنتاج أوضاع لغوية ، كانعكاس لتوجهاتها وسياساتها ، والتي تكون في الغالب ، نقيض الأوضاع أو الممارسات اللغوية لهذا المجتمع ، وهو ما يبرز حالة التعدد اللغوي في المجتمع في مجمل الحالات (وهو هدف دراستنا).

وقد عالجنا هذا الموضوع، من خلال عرض مجموعة من العناصر متمثلة في ، (الوضع اللغوي أثناء الفتوحات الإسلامية ،وعوامل انتشار العربية ، وخلال الفترة الاستعمار الفرنسي ، ثم بعد الاستقلال ، الى اليوم).

2. الفتح العربي الإسلامي وواقع اللغة العربية:

من المعروف أن اللغة الأصلية للمغرب العربي بصفة عامة وللجزائر بصفة خاصة، هي اللهجات المختلفة فيها (الشاوية، القبائلية، الميزابية، الشنوية،...) ،هي اللغة المعروفة والمتحدّثُ بها ،ورغم الغزو الروماني الطويل إلا أنه لم يستطع التأثير في لغتهم تأثيراً عميقاً كما عجز عن فرض ديانته عليهم، ولا حتى تلك الحضارة التي جاء بها ،فقد عجزت اللغة الرومانية عن ترك أثراً في اللغة البربرية، فالجزائر كانت تمتاز بوحدة اللغة والحضارة الخاصة بها، قبل دخول الفينيقيين إليها، وتأثّرت بعدها البربرية بالفينيقية واختلطت بها (سبق الإشارة لأسباب ذلك) ، والشيء نفسه حدث مع البيزنطيين أو الوندال، لكن بمجيء العرب اختلف الأمر عن ذلك تماما، حيث بدأ الفتح بمحاولات من ليبيا(647–660م) ولم «يجدوا هناك مقاومة عند دخول طرابلس 643م».[1]

ونشير إلى أنه هناك روايات عديدة حول تفسير الحملات التي قادها العرب، حيث يرى البعض أن هدفهم يتمثل في إضعاف الدولة الرومية للحصول على ثرواتهم– وهي عادات العرب القديمة– أو طريقة أخرى لدخول شمال إفريقيا ، عن طريق المعاهدات تبرم لأجل السلم، ولإعلان الصلح بين العرب والبربر، وهناك من يرى

حتى وإن كان الغرض دينياً، فهذا لم يمنع من تصرفات النهب وغيرها، وهناك من يعتبر أن دخول العرب وبدايته كان اختبار للقدرات العسكرية البيزنطية وإمكانياتهم.

وقد كان كذلك بداية الفتح وصل إلى القيروان(تونس) سنة 672م، ولم يتم فتح المغرب وتعيين "موسى بن نصير" إلا سنة 704م، وهذا التأخر يرجع ربما إلى«الخلافات السياسية الدينية في مركز القرار، والتي كانت وراء تأجيل فتح بقية بلدان المغرب العربي ودمجها في المحيط العربي الإسلامي».2

ومن خلال ما ورد سابقا يمكن القول أن تأخّر الفتح العربي في بدايته يرجع إلى أن البربر دائماً ،وبسبب الاستغلال الواضح لبعض المستعمرين لهم محاولة للاستيلاء على ثرواتهم، كانوا صامدين ومحافظين عن أراضيهم، فهم دائما يبدون مقاومة لكل من يحاول الدخول إلى أرضهم ،وبطبيعة الحال لابد للبربر أن يدافعوا ويقاوموا عن أراضيهم، ولكن بعد تأكد من ان العرب أهدافهم تختلف عن الآخرين من الأجانب تغيرت النظرة وكان الإقبال على الإسلام وعلى العربية.

3.الترابط الوظيفي بين الدين الإسلامي واللغة العربية:

من المعلوم أن القرآن نزل على سيدنا محمد(ص) بلسان عربي مبين لكل الناس، عرب أو غير عرب ،وهذه حقيقة لا يمكن لأي كان إنكارها «احتضنت بلاد الشمال الإفريقي القرآن، ولغة القرآن ،وجعلوها جزءاً من هويتهم وشخصيتهم ،وصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام في بلاد المغرب والأندلس... ، لقد عمل العرب والأمازيغ على تكوين الهوية الوطنية بمختلف أبعادها.. وأصبحت اللغة العربية مكوّناً هاماً للشعب الجزائري، واستقرت في أذهانهم وأعلوا من شأنها، فلا توجد دار أو قرية في وقت الاستعمار لا يُدرسُ فيها القرآن، فكانت لغة التجارة والاكتتاب قبل الاستعمار...، فكانت اللغة الموحدة العاملة على التماسك الاجتماعي وتساوي الفرص أمام الجميع».3

كل ذلك ساهم في وحدة تماسك الجزائريين، وجعلهم يواجهون تحديات العصر وأصبحت اللغة العربية أساس الهوية الجزائرية، وساهمت بتوافقها مع الأمازيغية في الرفع من شأنها وتقبلها وأصبحت لغة متداخلة غيما بينها.

«لقد كانت الأسر الأمازيغية التي حكمت الشمال الإفريقي ،هي التي أعلت من العربية وأنتجت تصاهراً خليطاً، لذا أصبح الحديث صعباً عن ثقافة أمازيغية خاصة أو ثقافة عربية تنحاز عن الأمازيغية، فقد تداخلت العناصر والمكونات المختلفة وتكاملت فيما بينها وتمازجت».4

وقد كتب (E.Renan) عن العربية بقوله «العربية دونما مدافعة، هي اللغة التي غزت أكبر مدى من البلدان...، إنها نظام فكر ديني وسياسي فائق على اختلاف الأعراق، ولكن نفوذ اللاتينية واليونانية لا يداني الذي للعربية.. ، الهيمنة العظيمة للغة العربية تحتضن إسبانيا وإفريقيا إلى غاية الخط الاستوائي وجنوب شرق آسيا إلى غاية جاوة، وروسيا إلى غاية قازان».5

فالعربية هي حاملة القرآن لساناً حافظاً مصوناً في كل فضاء وزمان، غير زائل تداعياً لتأثير لغات أخرى.

لقد دخلت العربية إلى الجزائر بدخول الدين الإسلامي حيث « انتشرت بانتشار القرآن الكريم، الذي هو أساس الدين ومرتكز العبادة والعقيدة، والعلم والفكر والثقافة والحكم والتصرف في كل الأمور الدينية والدنيوية والمالية والإدارية، وكل العادات والتقاليد بالمجتمع الإسلامي».6

وكان كذلك لدخول الدين الإسلامي دخول موجات وأفواج متعددة من العرب أو المستعربين الذين اختلطوا وامتزجوا امتزاجا كلياً، يكاد يكون متطابقاً بالسكان الأصليين، فامتزجت لغتهم بلغتهم، إلى أن أفضى هذا الواقع إلى تعريب الأغلبية الساحقة من السكان الأصليين.7

4.عوامل انتشار اللغة العربية:

1.4.التعليم:

التعليم عبر جميع مراحله التاريخية، وفي مختلف المناطق الإسلامية، كانت أداته الوحيدة هي العربية، وذلك بفضل المناهج التعليمية التي كانت معتمدة خاصة في الماضي، والتي لا تزال في بعض المؤسسات إلى اليوم إذ « يبدأ المنهج التعليمي بحفظ كتاب الله بقراءته المختلفة، ثم ينتقل إلى تحفيظ المتون اللغوية والأدبية والدينية، ثم إلى دراسة المصنفة في مختلف وجوه المعرفة، وكلها مكتوبة باللغة العربية إلى أن يتخرج المتعلّم وله خبرة باللغة العربية».8

وقد تمّ توارث هذه المناهج في التدريس في كل المدارس والزوايا والمساجد المنتشرة في المناطق المختلفة من الجزائر، سواء في المناطق الحضرية أو الريفية، وحتى المداشر 'الدواوير'، وبذلك كان لهذا الأثر البالغ في نشر وانتشار اللغة العربية، وتكوين أئمة وعلماء لهم ما يكفي من معرفة لهذه اللغة خاصة الأمازيغ.

2.4. النظام الإداري:

كان للنظام الإداري دور غي تشر العربية، بحيث كانت به «تكتب السجلات الإدارية والمالية والمراسلات وبها تصدر المراسيم والتعيينات والوثائق... وهذا ما كان يحتّم على من يرغب في نيل منصب من المناصب الإدارية معرفة ضرورية باللغة العربية».9

وقد كان هذا خاصة من الفترة الممتدة من دخول الإسلام إلى دخول الاستعمار، فللإسلام دور كبير وفعال في الاحتواء على جلّ المعاملات تقريباً بلغة موحّدة ،وهي العربية التي كانت تفرض نفسها آنذاك بصفتها لغة القرآن.

3.4.المعاملات الاقتصادية:

كانت اللغة العربية أيضا وإلى حين دخول الاستعمار هي اللغة التي تسجل بها العقود في البيع والشراء والقرض والرهن والهبة، وكل المعاملات التجارية الأخرى، فهي لغة المجالين الاقتصادي والتجاري، فاللغة العربية ليست لغة خاصة بالعرب أو بقريش، ولكنها انتقلت من هذه الخصوصية لتصبح لغة القرآن والإسلام وملكاً للشعوب الإسلامية الداخلة في هذا الدين العالمي، برغم اختلاف ألسنتها وألوانها.10

ومنه فإن اللغة العربية هي لغة الشعوب الإسلامية جميعا، وليست لغة العرب خاصة، وبما أنها لغة القرن الذي يعدّ نبراس الحياة، فقد أصبحت هي اللغة التي تستعمل في التواصل بين العديد من الشعوب الإسلامية ، وأخرجت البعض عن فهمهم الضيق في تمسّكهم بلغة واحدة والارتباط أشد الارتباط بالعادات والقيم والحدود الجغرافية التي تصنع شخصية منغلقة على نفسها ، وأدركوا أن هذه اللغة (لغة القرآن) هي التي يمكن أن توحّد الأمة الإسلامية، والعمل على نشرها وتلّمها لمسايرة الحياة « إنساننا العربي –حراً كريماً– هو الغاية ووحدة أمتنا، هي الوسيلة إلى هذا الإنسان، ولساننا العربي هو الدعامة الأولى والأهم والأرسخ لهذه الوحدة، ولا لساناً عربياً فعّالا متطوراً دون تعريب».11

لقد أصبحت اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الإسلامية هي « لغة الثقافة العالمة على الأمل، فهي لغة العلم والتعليم ولغة الدين والإدارة والسياسة والحكم والتجارة والاقتصاد والمعاملات المكتوبة في جميع مجالات الحياة».12

وقد كان المغاربة في جميع الشمال الإفريقي، بما فيها الجزائر ينظرون إلى العربية « نظرة تقديس وحب عظيم لهذه اللغة ، ولم يتعاملوا معها قط على أنها لغة مفروضة عليهم من قبل أي سلطة دنيوية، لأنه لم يثبت في أي مرحلة من تاريخ المغرب أن يسجل نزاع عسكري أو سياسي أو أي نوع آخر حول هذا الامتياز الذي

حظيت به هذه اللغة منذ دخول الإسلام إلى غاية دخول الاستعمار الحديث...، ولم يلجأ أحد من الحكام إلى التدخل في الوضع اللغوي بفرض سياسة لغوية مخالفة لما كان معروفاً وسائداً في جلّ أقطار العالم العربي الإسلامي».13

لقد كانت هذه الفترة القبل استعمارية وتحديداً في فترة الدخول الإسلامي، فترة أصبحت العربية فيها هي اللغة المعبّرة والعاكسة للغة العلم والدين والثقافة والإدارة.....، إلى غاية الدخول الاستعماري الذي حارب العربية والحرف العربي بمنع استعمالها.

ونشير إلى أن هذا الواقع اللغوي الموجود لا يعني أنه لا توجد كتابات* أمازيغية «لا سيما في المجال الديني، كما لا ينفي وجود بعض الخطباء الذين كانوا يضطرون في مواقف معينة دينية وسياسية وعسكرية واجتماعية، إلى استعمال لهجات محلية أمازيغية ، لشرح أفكارهم وتعميمها وإيصال الخطاب الرسمي للدولة إلى عموم أفراد الشعب»14، خاصة للأمازيغ الذين يتقنون هذه اللهجات، وقد كانت اللغة العربية الفصحى هي اللغة الأكثر استعمالا في شتى المجالات الحيوية ،وخاصة بصفتها أداة العلم والتعليم ومن أهم الوسائل للتواصل مع العالم الخارجي مع شتى الدول والشعوب.

وبجانب هذا الوجه الرسمي والرفيع لثقافة البلاد، كانت هناك أيضاً ثقافة شعبية، قامت فيها اللهجات العربية الدارجة واللهجات الأمازيغية (الشاوية، الترقية، القبائلية،...) بدور الوسيط في التعامل اليومي بين الأسر والأصدقاء، وأفراد القبيلة والتعبير بها عن العادات والتقاليد الشعبية المحلية والمختلفة بين المناطق والأمكنة.
أي أن الأدوار الوظيفية للعربية الفصحى واللهجات المختلفة(عربية أو أمازيغية) موزعة بطريقة تلقائية وعفوية ، دون أن تكون هناك سياسة لغوية مدروسة ومخططة أو مفروضة من أعلى.15

وكان هناك « تعايش وتكامل وتبادل في الأدوار والوظائف الاجتماعية طوال القرون الماضية....، ولم يكن الشخص المنحدر من أصل أمازيغي يجد أدنى غضاضة في تعلّم العربية والإقبال عليها والتبحّر فيها، لتحسين وضعيته الاجتماعية...، بل كان الذي يمتلك هذه الثقافة وهذه اللغة يعتبر نفسه محظوظاً في مجتمعه».16

إن كل من العربية واللهجات الأمازيغية عاشت جنبا إلى جنب، ولم يكن بينهما صراع ونزاع، بل كان هناك تداخل فيما بينهما، فاللغة العربية فتحت المجال أكثر للتواصل والتخاطب، وهي لغة القرآن الذي به تفتح الآفاق للوصول إلى مواكبة العالم لكل التطورات وبها يعتز ويفتخر الإنسان لما جاء به من تراث نقي تنبئي لحضارة بدون منازع لغوياً وفكرياً وثقافياً...

5. الاستعمار الفرنسي وسياسته في فرنسة المجتمع:

لقد واجهت جلّ الدول النامية ويلات الاستعمار، بما فيها الجزائر، وكما هو معلوم أن الاستعمار دائماً يسعى إلى الاستحواذ على كل ممتلكات الدول التي يحتلها، بما في ذلك الهوية للمجتمع والسير به نحو ثقافة هو من يصنعه، وهذا أمراً ليس بالهيّن، وهذا ما لم يدركه الاستعمار فسعى جاهداً لتحقيق أهدافه بطابعه الاستغلالي الاستنباطي والتسلّطي على الشعب الجزائري منذ حقبة من الزمن « الدمج الجذري الاجتماعي لأبناء المستعمرة المعنية في حضارة فرنسا وثقافتها»17، وهذا ما سعت إليه فرنسا لتحقيقه، وعملت على تفكيك وحدة الشعب الجزائري بإتباع سياسة "فرقْ تسُد"، حيث عملت على محاولة التفريق بين العرب والأمازيغ ،وذلك من خلال إحياء العصبية الأمازيغية، والزعم بأن الأمازيغ هم أحسن الناس إسلاماً وتماسكاً به، ولهم كيانهم الخاص ولغتهم الخاصة، والتي تختلف بدورها عن كيان ولغة الجزائريين، وقد ادعت أن إسلام الأمازيغ كان ظاهريا ولم يتغلغل ويدخل أعماق قلوبهم، لذلك دعت

إلى إحياء لغتهم وتقاليدهم وأعرافهم الوثنية ، والتي ينبغي أن تكون أساساً يحتكمون إليه قانونياً في أمور الأحوال الشخصية بدل الشريعة الإسلامية، كما أنها سعت إلى محاربة انتشار المدارس العربية الحرة والكتاتيب حيث يتم تعليم القرآن والدين الإسلامي.18

ففرنسا في بداية الأمر حاولت وعملت على تقسيم الجزائريين على أساس عرقي، حتى يتناحروا فيما بينهم ويصبح كل واحد منهم منفصل عن الآخر في تفاعله ومعاملاته وعاداته وتقاليده حيث قال الدوق (Duc de Rovigo) في سنة 1831 « لقد كنت أنظر إلى انتشار التعليم ولغتنا الفرنسية على أنها الوسيلة الأنجع للمضي قُدماً في بسط هيمنتنا على هذا البلد».19

كما أن الاستعمار عمل على محاولة القضاء على اللغة العربية، وذلك بإصدار قرار يعتبرها لغة أجنبية في موطنها، وإحلال اللغة الفرنسية مكانها حيث يرى – روفيغو– «أن الشيء العجيب الذي يمكن القيام به هو تعويض العربية شيئاً فشيئاً بالفرنسية (...) والذي لا يفتأ ينتشر في أوساط الأهالي، لاسيما إذا وفد الجيل الجديد بأعداد كبيرة للتعلّم في مدارسنا».20

ولم يكتفي الاستعمار الفرنسي بمكافحة اللغة، بل تعدى ذلك إلى الدين الإسلامي الذي منه تستنبط قيم المجتمع آنذاك، فمنع العلماء المسلمين من الارتياد والذهاب إلى بعض المناطق لتعليم أخلها القرآن وأمور الدين ،وكذلك استحواذها على أوقاف المساجد والتعليم، ورغم ما قام به المستعمر إلا أن الشعب الجزائري كان صامداً ومحافظاً على هويته الوطنية وعلى ثقافته من خلال ردود الفعل الإيجابية عن طريق الحركات الوطنية المتعددة، وبخاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحفاظ على اللغة العربية، وكان شعارها (الجزائر وطننا، العربية لغتنا،

الإسلام ديننا)، وعموماً فإن فرنسا ركّزت في سياستها الاستعمار على أربعة محاور « التنصير والفرنسة والإدماج والتفرقة بين العرب والبربر».21

وهي كلها عوامل تمس الجزائريين في شخصيتهم وثقافتهم وحضارتهم العربية الإسلامية، التي تبلورت مع الفتوحات الإسلامية، لذلك عمل المستعمر بتسخير كامل إمكانياته لتحقيق مطامعه وبطرق أكثر تصلباً خلال فترة تواجده، وخلق مشكلا لم يكن مطروحا من قبل وهو المشكل اللغوي(العربية والأمازيغية)، وهذا بغرض تفكيك وتشتت الوحدة الجزائرية والتاريخية لهذا الشعب ، إذ سعى الاستعمار إلى « الفصل بين العرب والأمازيغ، أو حركة الصراع المفتعل بين اللغتين والثقافتين العربية والأمازيغية».47، ونظرا للمدة التي بقى فيها الاستعمار، والتي كانت طويلة جعل اللغة الأجنبية تحل محل اللغة الوطنية وأخذت مكانها في التعليم والإدارة والحياة العامة ،وخلقت نوعاً من الصراع بينهما، وقد نتج عن هذا الوضع مشكلتان هما22:

-الثنائية اللغوية(الازدواجية):

والتي أصبحت أساس العمل في الإدارة والتعليم والوسائط الإعلامية...إلخ..، وانقسم فيها الرأي العام الجزائري إلى مؤيد ومناهض ووسط بينهما، والمشكل لا يكمن في وجود اللغة الأجنبية كضرورة ملحّة ،بقدر ما يطرح كيفية التعامل مع هذه اللغة ؟ وما هي المكانة التي ينبغي أن تحتلها هذه اللغة في النسق التعليمي والثقافي والإعلامي والنظام الإداري والاقتصادي؟ وهل نتعامل معها على حساب اللغة الوطنية ، وفي المقابل التنازل على مقوّمات شخصيتنا وهويتنا ؟ أم اعتبارها منفذ للتفتح العلمي والتواصل الثقافي والحضاري.؟

-التعريب:

والذي هو رد فعل طبيعي على حركة التغريب، التي فرضتها السياسة اللغوية والتعليمية للاستعمار، فحركة التعريب حركة نشأت للمطالبة بإعادة الاعتبار للغة

الوطنية وتثبيتها في مكامنها المكتسبة منذ عقود، وبعبارة أخرى أنها إعادة الأدوار التي كانت تلعبها العربية في المجال التعليمي والإداري والسياسي والاقتصادي...

6- الوضع اللغوي في المجتمع الجزائري:

6. 1. الوضع اللغوي بعد الاستعمار:

أصبح التعريب في ظل محاولة استعادة الهوية الجزائرية مطلب لابد منه، وهو في الحقيقة لا يجب أن يتحول إلى مشكل يعرقل الحياة، فهذا المشكل يحتاج أن يواجه دائماً بوعي وإدراك تعقل لعدد من الحقائق أهمها23:

-أن التعريب لا يعني الانطواء على الذّات والانغلاق، وعدم تعلم لغات أخرى لتكون بوابة للتفتح على مختلف الثقافات والحضارات ولكن دون الوقوع في قبضة أي لغة أجنبية حتى لا تكون مهيمنة ونافذة وذلك مهما كانت أهمية هذه اللغة وقدراتها حتى لا تكون التبعية لها.

-أن اللغة الأم(اللغة الوطنية) هي وحدها مجال الابتكار والإبداع.

-أنها بفكرها ومضامينها، هي إحدى وسائل حماية الذّات والدفاع عنها تخليصها من التبعية الاستعمارية.

-أن استعمالها في التعليم البحث العلمي والتعبير الأدبي والتعبير الأدبي والتسيير والاتصال بالآخرين في مختلف ميادين الحياة ووحده الكيل بتطويرها وإمداده بالجديد وجعلها قادرة على مواكبة العصرنة.

-أن هذا الاستعمال هو الذي يشجع المسلمين غير العرب على اتخاذها في التعليم وقضايا الفكر وشؤون الدين.

وعليه فإن واقع اللغة من واقع ناطقيها ،هي أساس معلمي لكل الثقافات وبها يمكن أن تفرض الأمة نفسها وتجعلا رائدة على المستوى العالمي.

« أجمعت التيارات الوطنية بعد الاستقلال على عملية التعريب، إلا أن هذه العملية لم تكن ناجحة، مع هذا لم تفشل لأسباب عديدة أهمها: عدم الجدية في التعريب، حيث ترك المجال قويا للفرنسية التي أصبحت أقوى في عهد الاستقلال، وتخلف آليات التعريب واستغلال التيار السلفي الإسلامي والقوي لورقة اللغة العربية في صراعها السياسي...».24

فقد كان للفرنسية بعد الاستقلال مخلفات كثيرة، سواء في الجانب الإداري أو السياسي، وحتى في قطاع التعليم ما دفع بالدولة إلى اتخاذ العديد من الإجراءات التي توضح معالم الدولة، وأهمها ترسيم اللغة العربية كلغة وطنية وواقع اللغة في الجزائر سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

6. 2. اللغات الموجودة في المجتمع الجزائري:

توجد في الجزائر لغات تؤدي وظائف متنوعة « تستخدم في بلدان المغرب العربي الحالي ثلاث لغات، العربية والفرنسية واللغة الأم، أما الأوليان فلغتا الثقافة، وهما لغتان مكتوبتان وتستخدم الفرنسية أيضا لغة للمحادثة، غير أن اللغة الأم الحقيقية التي يستخدمها الناس دائما في خطابهم اليومي لهجة، هي العربية أو البربرية، وليست هذه اللغة الأم باستثناء حالات نادرة جداً، لغة مكتوبة».25

وتعتبر اللغة العربية بنوعيها(الفصحى والدارجة) هي اللغة الأكثر تواجداً في الجزائر فهي لها إرث وثقل تاريخي واجتماعي كبير، زد على كونها لغة الدين والقرآن ولغة المغرب العربي ولغة العالم العربي، وتستخدم هذه اللغة في الكتابة بصورة أساسية، وتستخدم كذلك في التدريس في جميع مراحله المختلفة، ما عدا في بعض التخصصات العلمية والتقنية، كما أنها تستخدم في المساجد، وهي لغة وسائل الإعلام ولغة الحياة العامة بصورة أشمل.

أما اللغة الفرنسية فهي اللغة التي جاءت مرافقة للاستعمار الفرنسي ،أي أنها موروثة عنه، وقد كانت هذه اللغة لغة رسمية عنوة في تلك الحقبة ،وحتى بعدها بقليل كما سبق وأن ذكرنا في العديد من المؤسسات والمجالات، إلا أنه وبعد السياسة التعريبية المنتهجة أصبحت في مكانها الطبيعي، وهي لغة أجنبية ،وقد كانت هذه اللغة حكراً على فئات من الناس، وهي لغة مرجعية في الثقافة للعديد منهم، كما أنها تحقق من خلالها مكاسب اجتماعية مقابل اللغة العربية.

أما اللغة الأمازيغية بلهجاتها المختلفة فهي متواجدة منذ أزل بعيد في الجزائر، وتتواجد في مناطق جغرافية من الوطن (الأوراس، القبائل، وادي ميزاب، التوارق...) ،إلا أن هذه اللغة كانت تستخدم بطرق المشافهة والمحادثة فقط، ولم ترقى إلى لغة الكتابة بشكل واسع، وبقيت في أغلبها التواصل اليومي للعديد من الأفراد وفي العديد من الأماكن.

وإذا نظرنا إلى خريطة التوزيع اللغوي لهذه اللغة الأمازيغية، فيمكن تقسيمها إلى مجموعات لغوية في مناطق مختلفة هي:

أ–الجماعة التي تتكلم باللهجة المعروفة بالشاوية(باتنة، خنشلة، أم البواقي، تبسة، سوق اهراس...) وداخل هذه المجموعة تتفاوت نسبة استعمالها.

ب–الجماعة التي تتكلم اللهجة المعروفة بالقبائلية(تيزي وزو، بجاية، البويرة، بومرداس،...)

ج– الجماعة اللغوية التي تتكلم اللهجة المعروفة بالمزابية(غرداية والمدن الإباضية الأخرى).

د–وهناك جماعات لغوية تتكلم بالأمازيغية كذلك، ولكنها بدرجة قليلة في كل من «ورقلة، ونجوسة، وقورارة وجنوب وهران، وجيل بيسا وشنوا».26

واللغة العربية هي اللغة الغالبة في المجتمع الجزائري سواء من حيث عدد متكلميها، أو من حيث أنها لغة السلطة السياسية والثقافية ،والتي تعبّر عن وجهة النظر السياسية والاجتماعية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية.

واللغة الفرنسية تحظى كذلك باستعمالات في بعض المؤسسات والإدارات تحديداً، وحتى في المجالات الثقافية.

وهي لغة الربط بين مختلف المناطق بتنوّع خصائصها، وهناك تعايش لغوي قوي في الممارسات اللغوية في المجتمع الجزائري، بين العربية بتنوعها وبين الأمازيغية بلهجاتها المختلفة، وهو ما خلق الألفة اللغوية التي أدت إلى الألفة الاجتماعية للمجتمع الجزائري.

أما اللغة الفرنسية فكان تواجدها مرفقاً بالتواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر، ونظرا لطول المدة التي تواجد فيها هذا الاستعمار كان لها التأثير البالغ، حيث بقيت أداة للعمل في الإدارات، إلى جانب أنها كانت وسيلة حتى في التواصل اليومي لدى بعض الأسر المثقفة.27 ،وكذا في مجال التعليم، فأصبحت العربية مطاردة في كل مكان.

وقد عبر «Rovigo» عن ذلك بقوله «إني أنظر إلى انتشار التعليم ، ولأن لغتنا هي الوسيلة الفعلية من أجل الهيمنة على هذا القطر، وهدفنا هو تعويض خطوة خطوة العربية باللغة الفرنسية، خاصة إذ يذهب الجيل الجديد جماعات جماعات للتعليم في مدارسنا...».28

ومنه يمكن أن نستخلص أن اللغة الفرنسية في واقعنا اللغوي لازالت فاعلة، وهذا من خلال استعمالاتها في المجالات الرسمية والإدارية، وحتى في المعاملات الشفوية، وهناك من يعتبرها الوسيلة لمعرفة الحضارات الأجنبية والاطلاع عليها، وهي بمثابة سبيل للتطور التكنولوجي، ، فاليوم كما نرى أن اللغة العالمية الأولى

الإنجليزية وبالتالي، فهي نفرض نفسها في جل المجالات، والأجدر بذلك اللغة العربية بصفتها لغة القانون الإلهي الذي يسير الكون، ويرسم معالم الحياة على جميع المستويات، فالمجتمع الجزائري معروف عنه أنه يتميز بالتعدد اللغوي، إلا أن هناك تفاهم بين لغات المناطق المختلفة، سواء اللهجات العربية في الشرق والغرب والوسط والجنوب، أو بالنسبة للهجات الأمازيغية فيما بينها، حيث نجد بعض الاختلافات في نطق بعض الكلمات أو اللكنة الصوتية فقط.

خاتمة:

يمكن القول بشكل عام إن وضع اللغة له انعكاس على الوضع الاجتماعي والاتصالات ، فقبل مجيء الإسلام كانت توجد مجموعة من اللهجات واللغات على مر التاريخ، ومنها الأمازيغية، وفيما بعد وخلال العصر الإسلامي استعملت العربية على نطاق واسع باعتبارها لغة التعليم الديني ولغة القرآن ،وبعد الفترة الاستعمارية أخذت الفرنسية تسود في الاستعمال عن طواعية أو كرهاً باعتبارها اللغة الرسمية للإدارات والأنشطة، وهكذا بقي حال اللغة إلى غاية الاستقلال ،ومع مرور الزمن استقرت اللغات الثلاث بأولويات(العربية– الأمازيغية– الفرنسية).

وعليه فالواقع اللغوي في المجتمع الجزائري يتميز بالتعدد اللغوي في الاستعمالات والممارسات اللغوية المختلفة، مع التفاوت والتفاضل في الممارسات بين هذه اللغات المختلفة، والتي تخضع بدورها لعوامل جغرافية ،وتعليمية، واقتصادية، وسياسية، ودينية، وحضارية.

9.المراجع:

[1]– الهرماسي محمد صالح: مقاربات في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001، ص.51

[2]– المرجع نفسه ، ص.51

[3]– بلعيد صالح : في المسألة الأمازيغية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،1999، ص ص 27–28.

[4]– المرجع نفسه ، ص 28.

[5]– عبد الرحمان بن عطية: تاريخ العربية لسان العالمين، دار هومة، الجزائر، ترجمة/ حفناوي مالي، 2007 . ، ص391.

[6]– مجموعة من الكتاب، مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة(ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، تطوان 6–7 فيفري 2007، ص 145.

[7]– المرجع نفسه ، ص 145.

[8]– –المرجع نفسه ، ص 146.

[10–9]المرجع نفسه ، ص 148

[11]– ممدوح خسارة، التعريب والتنمية اللغوية، الأمالي للطبع والتوزيع، ط10، دمشق، 1994، ص 05.

[12]– مجموعة من الكتاب، مرجع سابق، ص 151.

[13]– نفس المرجع ، ص 151.

*– إن وجود هذه الكتابة كان قليلا والخط العربي هو الذي كان مستعملا في الكتابة.

15–14 المرجع نفسه ، ص ص152–153.

16– نفس المرجع ، ص 151.

17– نازلي معوض أحمد: التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مكتب دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 56.

18– تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ص 134.

19– إيفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة– المدارس والممارسة الطبية والدين(1830–1880)، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 45.

20– المرجع نفسه ، ص 45.

[21]– تركي رابح،" أضواء على سياسة تعريب التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي في الجزائر"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 57/ 1983، ص 86.

[22]– مجموعة من الكتاب، مرجع سابق، ص 160.

[23]– عباس الجراري، مرجع سابق، ص ص 20-21.

[24]– عز الدين المناصرة،المسألة اللغوية في الجزائر والمغرب(إشكالية التعددية اللغوية)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص21.

25-Gilbert Grand Guillaumem; Arabisation et politique linguistique au Maghreb, Islam d'hier et d'aujourd'hui, Paris G.P, Maison neuve et Larose, 1983, p11.

[26]–شاكر سالم، مرجع سابق ، ص13.

[27]– حفيظة تازورتي، إكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص 98.

28- Taleb Ibrahimi (Khoula): Les Algériens et leurs Langues, éd, El Hikma, 1997.p36.